# المستشرقون والحديث الشريف

# Orientalists and Hadith

بوراس ميلود[1] بوشفرة نادية[2]

[1] جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم ( الجزائر ) – miloudbouras29@gmail.com

[2] جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم ( الجزائر ) – bouchefranadia07@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2019/08/23 تاريخ القبول: 2019/10/26 تاريخ النشر: 2020/01/05

ملخص البحث:

إنّ سبب منع الكتابة الحديث النبوي في بداية الدعوة الإسلامية حتى لا تختلط السُّنّة بالقرآن الكريم، وبالرّغم من ذلك فقد وجد من الصحابة الكرام- رضوان الله عليهم -من قام بالكتابة، في صحف تحتوي على عدد كبير من الأحاديث. وقد تطرق بعض المستشرقون إلى مسألة وضع الحديث وردّوها إلى الصراعات السياسية بين الخلفاء من جهة وبين فرق من جهة أخرى، وأيضا حولوها إلى تطور الظروف الاجتماعية منكرين جهود العلماء المسلمون في حفظ الحديث ووضع شروط وقواعد لقبول أي حديث من حيث المتن والسّند.

الكلمات المفتاحية: النّبيّ صلى الله عليه و سلم; شبهات المستشرقون ; الحديث النبوي; تدوين الحديث.

**ABSTRACT:**

**The reason for preventing the modern Hadith in the beginning of the Islamic call so as not to mix the Sunnis with the Koran Nevertheless, he found the Companions of the Companions, may God be pleased with them who wrote In newspapers containing a large number of conversations. Some orientalists touched on the issue of the status of the talk and its response to the political conflicts between the caliphs on the one hand and the teams on the other As well as its response to the development of social conditions Orientalists have ignored the efforts of Muslim scholars in keeping the talk and the establishment of conditions and rules for the acceptance of any talk in terms of content and sedition.**

**key words :Prophet, peace be upon him; Orientalists' suspicions; Prophetic hadith; Modern notation.**



## 1- مقدمة :

السُّنّة هي المصدر الثاني في التشريع بعد القرآن جاءت لتبيّن وتفسّر كلام الله عز وجل قال تعالى "وأنزلنا إليك الذّكر لتبيّن للنّاس ما نزّل إليهم" سورة النحل الآية: 44.

لقد أراد المستشرقون إنكار الحديث النبوي والتشكيك فيه من خلال الطعن في السّند والمتن واتّهام الخلفاء والعلماء باختلاق الحديث ووضعه وفق ما تمليه عليه أهواؤهم وما يخدم مصالحهم ،إلاّ أنّ كلام هؤلاء المستشرقين ومن سار في نهجهم من المفكرين العرب لم يدرسوا الحديث النبوي دراسة موضوعية خالصة وربّما لم يتطلعوا على الشروط التي وضعها علماؤنا في

[1] المؤلف المرسل: بوراس ميلود

قبول الحديث فكان لزاما علينا أن نبيّن بعض أخطاء وشبهات المستشرقين في الحديث الشريف. فما هي أهم الشبهات التي أثارها المستشرقين حول الحديث؟وكيف كان ردّ علمائنا على تلك الشبهات؟.

**1- تعريف الاستشراق:**

يمكن في هذا السياق أن نبدأ بتعريفات المستشرقين أنفسهم لهذا المصطلح فهم أصحابه، لكن ارتأيت أن أبدأ بالمعنى اللغوي لهذه الكلمة حتى يتجلى لنا أصلها.

أ- **لغةً:**

- كلمة "الاستشراق" لو أرجعناها إلى أصلها لوجدها: مشتقة من مادة "شرق" يقال شرقت الشمس شرقا وشروقا إذا طلعت
- والشرق :خلاف الغرب، والشروق كالطلوع، وشرق يشرق شروقا، ويقال لكل شيء طلع من قبل المشرق

والتشريق :الأخذ في ناحية المشرق .يقال: شتان بين مشرق ومغرب .وشرقوا :ذهبوا إلى الشرق أو أتوا الشرق .وكل ما طلع من المشرق فقد شرق ، فالشرق إذا يرمز إلى ذلك الحيز المكاني من الكون وهو الشرق[1].

ب اصطلاحا: من الباحثين والدارسين العرب الذين تناولوا هذا المصطلح نجد أن لإدوارد سعيد عدة تعريفات منها: "الاستشراق هو المؤسسة المشتركة للتعامل مع الشرق بإصدار تقريرات حوله، وبوصفه وتدريسه، والاستقرار فيه وحكمه، وهو بإيجاز أسلوب غربي للسيطرة على الشرق واستبنائه وامتلاك السيادية عليه".[2].

**1.2 نشأة الاستشراق:**

لا يعرف بالضبط من هو أول غربي عني بالدراسات الشرقية ولا في أي وقت كان ذلك؟ فمن الصعب تحديد بداية للاستشراق، فقد اختلف المؤرخون من المسلمين وغير المسلمين في ذلك، إذ أن بعض المؤرخين يعودون به إلى أيام الدولة الإسلامية في الأندلس، في حين يعود به آخرون إلى أيام الصليبيين، بينما يرجعه كثيرون إلى أيام الدولة الأموية في القرن الثاني الهجري. وأنه نشط في الشام بواسطة الراهب يوحنا الدمشقي في كتابين الأول: حياة محمد. والثاني: حوار بين مسيحي ومسلم. وكان هدفه إرشاد النصارى في جدل المسلمين. وأيًّا كان الأمر فإن حركة الاستشراق قد انطلقت بباعث ديني يستهدف خدمة الاستعمار وتسهيل عمله ونشر النصرانية.

**2.2 أنواع الاستشراق:**

_ **الاستشراق اللاهوتي** : بدأ تقريبا مع بداية الإسلام و إن كان انطلاقته الفعلية بتيني الكنيسة لقرار إنشاء كراسي للغة العربية في الجامعات الأوربية في مؤتمر فيينا عام 1312.

_ **الاستشراق العلمي** : إن الإستشراق قد تشكل كعلم في القرن التاسع عشر، منذ أن تخلص من سيطرة اللاهوتي أصبح علما قائما بذاته، هدفه دراسة اللغات الشرقية وآدابها[3].

**3.2 أهداف الاستشراق:**

**أ. الهدف الديني :**

يقول مصطفى السباعي: "لا نحتاج إلى استنتاج وجهد في البحث لنتعرف إلى الدوافع الأولى للإستشراق عند الغربيين وهو الدافع الديني. فقد بدأ الرهبان ... واستمر كذلك حتى عصرنا الحاضر كما سنرى وهؤلاء كان يهمهم أن يطعنوا في الإسلام ويشوهوا محاسنه ويحرفوا حقائقه ليثبتوا لجماهيرهم التي تخضع لزعامتهم الدينية أن الإسلام – وقد

كان يومئذ الخصم الوحيد للمسيحية في نظر الغربيين – دين لا يستحق الانتشار، وأن المسلمين قوم همج لصوص وسفاكوا دماء، يحثهم دينهم على الملذات الجسدية ويبعدهم عن كل سمو روحي وخلقي، ثم اشتدت حاجتهم إلى هذا الهجوم في العصر الحاضر بعد أن رأوا الحضارة الحديثة قد زعزعت أسس العقيدة عند الغربيين وأخذت تشككهم بكل التعاليم التي كانوا يتلقونها عن رجال الدين عندهم فيما مضى فلم يجدوا أخيرا من تشديد الهجوم على الإسلام لصرف أنظار الغربيين عن نقد ما عندهم من عقيدة وكتب مقدسة، وهم يعلمون ما تركته الفتوحات الإسلامية الأولى ثم الحروب الصليبية ثم الفتوحات العثمانية في أوروبا بعد ذلك في نفوس الغربيين من خوف من قوة الإسلام وكره لأهله فاستغلوا هذا الجو النفسي، وازدادوا نشاطا في الدراسات الإسلامية"[4].

**ب. الهدف العلمي:**

من المستشرقين نفر أقبلوا على الاستشراق بدافع حب الاطلاع على حضارات الأمم وأديانها وثقافاتها ولغاتها وهؤلاء كانوا أقل من غيرهم خطأ في فهم الإسلام وتراثه، لأنهم لم يكونوا يتعمدون الدس والتحريف فجاءت أبحاثهم أقرب إلى الحق وإلى المنهج العلمي السليم من أبحاث الجمهرة الغالبة من المستشرقين بل أن منهم من اهتدى إلى الإسلام وآمن برسالته. على أن هؤلاء لا يوجدون إلا حين يكون لهم من الموارد المالية الخاصة ما يمكنهم من الانصراف إلى الاستشراق بأمانة وإخلاص لأن أبحاثهم المجردة عن الهوى لا تلقى رواجا لا عند رجال الدين ولا عند رجال السياسة، ولا عند عامة الباحثين. ومن ثمة فهي لا تدر عليهم ربحا ولا مالا، ولهذان وجود هذه الفئة في أوساط المستشرقين[5].

**ج. الهدف الاستعماري:**

ويسمى أيضا الهدف الاستغلالي التوسعي، فمنذ أن انتهت الحروب الصليبية بهزيمة الصليبيين وهي في ظاهرها حروف دينية في حقيقتها حروب استعمارية ييأس الغربيون من العودة إلى احتلال بلاد العرب فبلاد الإسلام، فاتجهوا إلى دراسة هذه البلاد في كل شؤونها من عقيدة وعادات وأخلاق وثروات. ليتعرفوا إلى مواطن القوة فيها فيضعفوها وإلى مواطن الضعف فيغتنموها، ولما تم لهم الاستيلاء العسكري والسيطرة السياسية كان من دوافع تشجيع الاستشراق إضعاف المقاومة الروحية والمعنوية في نفوسنا، وبث الوهن والارتباك في تفكيرنا وذلك عن طريق التشكيك بفائدة ما في أيدينا من تراث. وما عندنا من عقيدة وقيم إنسانية، فنفقد الثقة بأنفسنا ونرتمي في أحضان الغرب نستجدي منه المقاييس الأخلاقية والمبادئ العقائدية، وبذلك يتم لهم ما يريدون من خضوعنا لحضاراتهم وثقافتهم خضوعا لا تقوم لنا من بعده قائمة...[6].

**د.الدافع السياسي:**

ويمكن أن يندرج مع الدافع الاستعماري، لأن هناك دافع آخر أخذ يتجلى في عصرنا الحاضر بعد استقلال أكثر الدول العربية والإسلامية، ففي كل سفارة من سفارات الدول الغربية لدى هذه الدول سكرتيرا أو ملحقا ثقافي يحسن اللغة العربية ليتمكن من الاتصال برجال الفكر والصحافة والسياسة فيتعرف إلى أفكارهم، ويبث فيهم من الاتجاهات السياسية ما تريده دولته. وكثيرا ما كان لهذا الاتصال أثره الخطير في الماضي حين كان السفراء الغربيون – ولا يزالون في بعض البلاد العربية والإسلامية – يبثون الدسائس للتفرقة بين الدول العربية بعضها مع بعض وبين الدول العربية والدول الإسلامية بحجة وتوجيه النصح وإسداء المعونة بعد أن درسوا تماما نفسية كثيرين من المسؤولين في تلك البلاد وعرفوا نواحي الضعف في سياستهم العامة. كما عرفوا الاتجاهات الشعبية الخطيرة على مصالحهم واستعمارهم[7].

**3- تعريف الحديث:**

الحديث في اللغة: "من التحدث و الأخبار، إذ كان هذا المعنى معروفا لدى العرب من قبل الإسلام، إذ كان يطلقون على أيامهم المشهودة اسم الأحاديث. أو سمي به قول أو فعل أو تقرير نسب إلى النبي محمد صلى الله عليه و سلم"[8].

و الحديث في الاصطلاح: "هو كل ما روي عن سيدنا النبي صلى الله عليه و سلم بعد النبوة، من قوله و فعله و إقراره"[9].

ينقسم الحديث إلى: قدسي أو الإلهي:

"و هو ما يرويه الرسول صلى الله عليه و سلم عن ربه عز و جل و هذه الأحاديث يحرص النبي صلى الله عليه و سلم على تصديرها بعبارة تدل على نسبتها إلى الله تعالى"[10].

**1.3 المستشرقون والحديث:**

لقد تعرض المستشرقون إلى الحديث وشكّكوا في كل ما يتعلق به من سند ومتن يقول علي بن إبراهيم النملة "لم تسلم سيرة المصطفى صلى الله عليه و سلم من الهمز و اللمز و الطعون و الشبهات و المزاعم و الأخطاء و التناقضات و الإنكار، من قبل رهط من المستشرقين الذين تعرضوا لحياة الرسول صلى الله عليه و سلم و هذه السمات هي مجمل المواقف من سيرة الرسول محمد ابن عبد الله صلى الله عليه و سلم ، و سنته المطهرة في متنها و سندها الذي تنفرد به الثقافة الإسلامية في التحقق من الرواة و الثقات من أهل الحديث الشريف"[11].

لقد اهتّم بعض المستشرقون بالسّنة النّبوية والخوض فيها يقول أ.د سعدون الساموك في كتابه الاستشراق ومناهجه في الدراسات الاسلامية "صوّب المستشرقون سهامهم تجاه السنّة النبوية المطهرة بالتشكيك والطعن فيها وفي جهود العلماء المسلمين "وأهم المستشرقين وأكثرهم كلاما في السُنّة "**جولد تسهر**" و "**شاخت**" وهما يتفقان في النتيجة العامة لدراستهما ويمثلان النظرة الاستشراقية من السنة النبوية، يقول "**جولد تسهر**" "أنّ الأحاديث مع هذا أخذت من العهد القديم والجديد وفلسفة اليونان وأقوال من حكم الفرس والهنود...إلخ"[12].

ويقول أ د سعدون الساموك "إنّ التراث العلمي الخاص بعلوم الحديث يخص الرأي الذي يتّهم علماء المسلمين يوضع الأحاديث خدمة للمآرب الخاصة، وإن موقف المستشرقين من تاريخ السنة مضطرب ومتناقض، ويثبت أنّ الاستشراق لا يدرس السنة دراسة موضوعية ،وأنّه يريد من وراء أبحاثه تشكيك المسلمين في المصدر الثاني لدينهم.[13]

يتطرق عماد الدين خليل في بحث له عن المستشرقين و السيرة :" إن المستشرقين - بعامة- يريدون أن يدرسوا سيرة رسول الله صلى الله عليه و سلم وفق حالتين تجعلان من المستحيل تحقيق فهم صحيح لنسيج السيرة و نتائجها وأهدافها التي تحركت صوبها، والغاية الأساسية التي تمحورت حولها، فالمستشرق بين أن يكون علمانيا ماديا لا يؤمن بالغيب، و بين أن يكون يهوديا أو نصرانيا لا يؤمن بصدق الرسالة التي أعقبت النصرانية"[14].

يتّهم " **جولد تسهر**"علماء الحديث بالوضع فيه فيقول " إنّه نظرا لما وقع في أيديهم _أيْ العلماء _لم يسعهم في تحقيق أغراضهم، أخذوا يخترعون من عندهم أحاديث رأوها مرغوب فيها ولا تتنافى والروح الإسلامية، وبرّروا ذلك أمام ضمائرهم بأنّهم إنما يفعلون ذلك من أجل محاربة الطغيان والإلحاد والبعد عن سنن الدين ....."[15].

يبين لنا يحي عبد الهادي محمد، كيف كان الصحابة - رضوان الله عليهم – يحرصون عل حفظ الحديث فيعلق قائلا: "استمر عصر النبوة و الجزء الأعظم من عصر الصحابة صافيا لم يتعلق بهما أدنى شائبة مما يؤثر على

الإسناد في الحديث الشريف حتى العقد الرابع، و قد كان الصحابة يروون الحديث لبعضهم البعض و يؤدونه كما سمعوه و يعارض بعضهم لما يرى من مخالفة الحديث لبعضهم اجتهادا، مثل تنفيذ جيش أسامة و المسلمون بحاجة إليه، و محاربة المرتدين"[16].

**2.3 شبهات المستشرقين حول تدوين الحديث:**

من أبرز الطعون التي اختار المستشرقون حول السُنّة أنها لم تلق أي تدوين، إلاّ أنّ سبب منع عن الكتابة كان في أوائل الدعوة الإسلامية حتى لا تختلط السنة بالقرآن الكريم.

جاء في كتاب موقف الدراسات الاستشراقية من الحديث النبوي الشريف يبيّن سبب في منع تدوين الحديث "إذا؛ السبب في عدم التدوين للحديث النبوي ليس الجهل في المسلمين آنذاك بالكتابة و القراءة، فكان فيهم القارئون و الكاتبون الذين دونوا الحديث النبوي، بل هي الأسباب الناجمة من الخوف من التباس الحديث النبوي بالقرآن الكريم"[17].

"أما فيما يخص الحديث؛ ففي البداية لا توجد أدلة على وقوع الوضع في عهد النبي صلى الله عليه و سلم، و لا في خلافة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) و الخليفة عمر ابن الخطاب (رضي الله عنه)، و لا شك أن كثرة الصحابة الكبار، و وحدة الأمّة الإسلامية في هذه الفترة المبكرة منعت من ظهور الوضع في الحديث"[18].

وحجّة هؤلاء المستشرقين التي مزال متمسكين بها إلى يومنا هذا أنّ الحديث بقي قرن و نصف لم يدون "ومن أبرز الطعون في هذا المجال أن اختار المستشرقون الوقوف إلى جانب الرأي القائل بأن الحديث النبوي لم يلقى أي تدوين، أن الشبهات التي أطلقها المستشرقون و قام بناءها علو وهم فاسد هي مسألة أنّ الحديث بقي قرن و نصف لم يدون، و بعد هذه الفترة الطويلة قرر المحدثون جمع الحديث، و ردّد عدد من المغرضين هذه الشبهة، مثال جولد تسهير و شبرنجر، و دوزي، و آخرين"[19].

هناك مستشرق آخر اسمه( مرجليوت ) تطرق إلى مسألة تدوين الحديث :" فقد أدّعى أن الحديث النبوي لم يدون إلا بعد تسعين عاما من وفاة الرسول صلى الله عليه و سلم"[20].

لا يمكن أن نغفل دور علماء الحديث في مسألة نقد الحديث من أمثال هؤلاء الإمام الزهري –رحمه الله- " فكانت جهود علماء الأمة مستمرة للحفاظ على الحديث النبوي ، إذ أن قضية الإسناد و نقد المتن من الأمور التي أشغلت الكثير من العلماء، لهذا قام الإمام الزهري أن يضع نظرية الإسناد الأصلية و أن يحفظ لنا الأحاديث النبوية الشريفة، و على هذا سلمت لنا الأحاديث من الوضع و التدليس، فإن الحديث لا يقبل إلا بسند و ينظر في الرواة كما ينظر في المتن"[21].

لقد كان حرص المحدثين على الحديث منذ زمن بعيد " فهؤلاء العلماء الذين ألفوا الكتب في الحديث النبوي في النصف الأول من القرن الثاني ووصلتنا بعض مؤلفاتهم ك ( الموطأ) لمالك ذ، و ( الجامع) لمعمر هم من تلاميذ العلماء الذين ألفوا الكتب في القرن الأول، و قد أصبحت كتب أولئك الشيوخ و الأساتذة ضمن كتب تلاميذهم"[22].

"و من الأمثلة على ذلك ( صحيفة ) همام بن منبه، التي كتبها في مجلس الصحابي أبي هريرة عندما كان يملي عليهم الأحاديث في مسجد الرسول صلى الله عليه و سلم، هذه الصحيفة التي كتبت في منتصف القرن الأول أوردها تلميذه معمر في ( الجامع ) مفرقة، ثم قرأها أحمد ابن حنبل على شيخه عبد الرزاق، و بعد ذلك جعلها كلها في المسند بإسناد واحد و سياق واحد دون تقطيع لأنها من حديث صاحبي واحد هو أبو هريرة"[23].

وأضاف المستشرقون أسباب أخرى للوضع في الحديث أو التزييف فيه كما يقولون هو الصراعات السياسية والتطور الذي حصل في المجتمع آنذاك.

يقول جولد تسيهر: "إن القسم الأكبر من الحديث ليس إلا نتيجة للتطور الديني و السياسي و الاجتماعي للإسلام في القرنين الأول و الثاني، و لا ندري كيف يجرؤ على مثل هذه الدعوى، مع أن النقول الثابتة تكذبه، و مع أن رسول الله صلى الله عليه و سلم لم ينتقل للرفيق الأعلى إلا و قد وضع الأسس الكاملة لبنيان الإسلام الشامخ.[24]

يعلّق الدكتور مصطفى السباعي في كتابه السّنة و مكانتها في التشريع الإسلامي فيقول"علمنا أنّ السُنّة لم تدون رسميا في عهد الرسول صلى الله عليه و سلم، كما دون القرآن، إنما كانت محفوظة في الصدور نقلها صحابة الرسول إلى من بعدهم من التابعين مشافها و تلقينا،و إن كان عصر النبي لم يخل من كتابة بعض الحديث، كما قدمناه لك في بحث كتابة السنة إلا قليلا، إنما تتناقلها الألسن"[25].

ومن المستشرقين الذين لهم زادا وباعا في السّنة لويس يقول: "نمت مجموعة ضخمة من الحديث خلال أجيال قليلة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه و سلم تغطي كل جوانب حياته و فكره"[26].

يدعى لويس أنّ " جمع الحديث و تدوينه لم يحدث إلا بعد أجيال من وفاة الرسول ٍ و خلال هذه الفترة فإن الغرض و الدوافع لتزوير الحديث كانت غير محدودة. فأولا لا يكفي مجرد مرور الزمن و عجز الذاكرة البشرية وحدها لأن يلقيا ظلالا من الشك على بينة تنقل مشافهة مدة تزيد على مئة عام ". و يضيف لويس بأن " ثمة دوافع للتحريف المتعمد لأن الفترة التي تلت وفاة الرسول صلى الله عليه و سلم شهدت تطورا شاملا في حياة المجتمع الإسلامي فكان تأثر المسلمين بالشعوب المغلوبة بالإضافة إلى الصراعات بين الأسر و الأفراد كل ذلك أدى إلى وضع الحديث"[27].

لا يحاول بعض المستشرقين البحث عن الحقيقة في بحوثهم والتي في معظمها تتّسم بسوء الظن والتعسف. لقد بذل علماء الحديث جهودا في تدوينه وحفظه فلا يمكن تجاهل ذلك إطلاقا.

**4- طعن المستشرقين في سند الحديث:**

قبل أن نخوض في شبهات المستشرقين في سند الحديث وطريقة نقل الأخبار عن الرسول صلى الله عليه وسلم لابد أن نعرف ماهو السند في الحديث.

الإسناد لغة: مطلق الإخبار، و اصطلاحا: "هو رفع الحديث إلى قائله، و قيل: هو الإخبار عن طريق المتن"[28]. فالسند في الحديث هو عبارة سلسلة رواة نقلوا الحديث النبي صلى الله عليه وسلم عن طريق المشافهة والسماع من أولهم الذي سمع الحديث إلى آخرهم الذي وصله الحديث.

لم يسلم سند الحديث من التشكيك فيه من طرف بعض من المفكرين الغربيين المهتمين بالحديث النبوي. لقد تعرض المستشرقون إلى الحديث وشكّكوا في كل ما يتعلق به من سند ومتن يقول علي بن إبراهيم النملة "لم تسلم سيرة المصطفى صلى الله عليه و سلم من الهمز و اللمز و الطعون و الشبهات و المزاعم و الأخطاء و التناقضات و الإنكار، من قبل رهط من المستشرقين الذين تعرضوا لحياة الرسول صلى الله عليه و سلم و هذه السمات هي مجمل المواقف من سيرة الرسول محمد ابن عبد الله صلى الله عليه و سلم ، و سنته المطهّرة في متنها و سندها الذي تنفرد به الثقافة الإسلامية في التحقق من الرواة و الثقات من أهل الحديث الشريف"[29].

يعتبر شاخت من المستشرقين الذين تعرضوا للحديث وبخاصة أسانيد الحديث النبوي الشريف فيقول عنها "شاخت" "إن أكبر جزء من أسانيد الأحاديث اعتباطي ومعلوم لدى للجميع أنّ الأسماء في الأسانيد بدأت بشكل بدائي... وكانت الأسانيد كثيرا ما تجد أقل اعتناء"[30]

يردّ الدكتور عبد القاهر العاني على ذلك فيقول: "كذلك فإنّ المستشرقون قد طعنوا بالسند والرواة واتّهموا الفقهاء بوضع الأسانيد وتلفيقها وربما اختار المستشرقون علماء أجّله ليلفقوا عليهم ما يشوه تاريخهم وصورهم كأبي هريرة والزهري وأبي حنيفة وغيرهم"[31]

يعلق ساسي سالم على طريقة تناول المستشرقين للسُّنّة فيقول: "إن معالجة المستشرقين للسنة من الموضوعات الشائكة التي تستحق منا عناية خاصة، فهؤلاء الناس قد تعرضوا إليها من عدة مناهج مختلفة ودرسوها من خلال وجهات نظر لا تتفق وعقائدنا، وعالجوها بمناهج لا تؤدي عادة إلى النتائج العلمية المحادية في الدراسات الإسلامية، ونظروا إليها بمنظار مادي لا يتناسب ونظراتها المثالية للكون والحياة، ونقدوها نقدا خارجيا وداخليا ألقى عليها ضلال من الشك والريبة في صحتها"[32]

ومن المستشرقين المهتمين بالسنة النبوية وبالحديث كاتياني الذي يشك في أسانيد الحديث : " إذا تتبعنا الأسانيد و جعلنا إحصائيات تستخلص منها أنّ الأصحاب الذين صحبوا النّبيّ صلى الله عليه و سلم قليلا هم الذين رووا عنه كثيرا"[33]

فهذه بعض الآثار الواردة عنهم تدل على أن اهتمام بالسند كان منذ مجيئ النبي صلى الله عليه وسلم او لم يكن استعماله متأخرا كما يدّعيه بعض المستشرقين و إنّما طبق منذ نزول الوحي، و من هذه الآثار الثابتة عن منهج الصحابة حول ذلك:

"إن أبا بكر الصديق و عمر ابن الخطاب قد نهجا منهجا عظيما لمعرفة الإسناد و التثبيت و التدقيق منه، و من ذلك أن الجدة جاءت إلى أبي بكر تسأله عن ميراثها، فقال: مالك في كتاب الله شيء و ما علمت لك في سنة نبي الله شيئا، فارجعي حتى أسأل الناس، فقال المغيرة بن شعبة: حضرت رسول الله عليه و سلم أعطاها السدس، فقال أبو بكر: هل معك غيرك؟ فقال محمد ابن مسلمة فقال مثل ما قال المغيرة بي شعبة فأنفذه أبو بكر"[34].

1.4 لقد اشترط علماء الحديث لقبول صحة السند :

1- عدالة رواته كلهم.

2- صحة سماع كل راو عن الآخر الذي يليه.

3- ضبط رواته كلهم.

فاهتمام الصحابة بالسنة النبوية سندا ومتنا كان منذ الوهلة الأولى و هذا ردا على ما يدعيه شاخت الذي يقول " من الصعوبة أن يُعَد واحد من الأحاديث الفقهية صحيحا، و أنها وضعت للتداول بين الناس منذ نصف القرن الثاني و ما بعده"[35].

ونجد (روبسون) يسير على نفس خطى سابقيه حول التشكيك في الحديث وأنه تم تلفيق أحاديث في زمن متأخر نسبت هذه الأحاديث إلى الرسول صلى الله عليه و سلم فيقول "إنّ الأسانيد تم اختلاقها في القرن الثاني، و تم تركيبها لأحاديث مختلفة، و نُسِبَت لشخصيات و مراجع أعلى لترويجها"[36].

إن التهم التي وجهت إلى علماء الحديث باطلة فلقد بدأ السّند منذ أوّل حديث ألقاه النّبيّ صلى الله عليه و سلم على مسامع الصحابة رضوان الله عليهم ولقد اهتم العلماء عبر العصور بالسّند، واستنبطت حوله علوم المختلفة كعلم الجرح والتعديل فلا يمكن لأيّ شخص أن يختلق أو يكذب في الحديث مع تلك كل الشروط والضوابط.

**5- صورة مشوهة عن النّبيّ صلى الله عليه و سلم منها:**

حاول بعض المستشرقين النيل من شخصية الرسول صلى الله عليه و سلم منها، والتشكيك في رسالته الربّانية من قرآن وسُنّة.

يتحدث الدكتور فتح الدين محمد في كتابه مدخل إلى الإستشراق المعاصر و علم الحديث عن الأوصاف التي نعته بها بعض المستشرقين خاصة في القرون الوسطى: "ينطلق كثير من المستشرقين في دراستهم لعلم الحديث الشريف من تصور خاطئ عن الدين الإسلامي و رسوله محمد صلى الله عليه و سلم تكون خلال القرون الوسطى على يد زمرة من متقدمي المستشرقين، وصفوه بكونه ساحرا و دجالا و أنه كان صلى الله عليه و سلم أكولا، و نؤوما، إلى غير ذلك من الأوصاف الشنيعة التي تنم عن جهل فاضح، أو حقد دفين"[37].

نظر بعض المستشرقين إلى السنة نظرة أقل ما يقال عنها حاقدة فتناولوها بشيئ من الإنصاف فقد حاول بعض المستشرقين تصحيح بعض جوانب هذه الصورة، و لكنهم لم يتمكنوا من الوصول إلى التصور الصحيح عن الإسلام و رسوله صلى الله عليه و سلم "[38]

لكن لماذا يشكك المستشرقين في السنة النبوية ويبطلنها و لماذا يسيء الغربيون إلى رجل جليل القدر مثل " محمد " الذي تسامى شأنه و تعالى مجده إلى أبعد مدارج المثالية، بشهادة أحبارهم وفلاسفتهم و زعمائهم"[39].

تنوعت نظرة المستشرقين وتعددت أقوالهم واختلفت آراءهم حول السنة يتساءل محمد عبد الشافي القوصي مرة أخرى حول الإساءة إلى النّبيّ صلى الله عليه و سلم فيقول "ألا يعلم هؤلاء المكابرون و المعاندون، أنّ الإساءة إلى نبي الإسلام هي إساءة إلى جميع الأنبياء، و أنّ تكذيبه يعني تكذيبا لأسفارهم و كتبهم التي يتعبدون بها"[40] .

ولقد ادّعى المستشرقين على أنّ علماء الحديث اختلفوا في توثيق الرجال : "اختلاف المحدثين في التوثيق و التضعيف، و لقد اعتبر الطاعنون اختلاف علماء الحديث في توثيق الرجال و تضعيفهم مطعنا في منهجهم، و يلزم من ذلك أن يوثقوا من لا يستحق التوثيق، و يضعفوا من لا يستحق التضعيف، و ينتج عنه تصحيح أحاديث لم تبلغ درجة الصحة، و لذلك حكموا على كثير من الأحاديث بالصحة و هي ليست كذلك"[41].

لكن هناك عدد من المستشرقين تعرضوا إلى السُّنة بشيء من الإنصاف والاعتدال في بحوثهم يتكلم علي إبراهيم النملة عليهم فيقول "على أن هناك طائفة من المستشرقين بحثوا في السيرة و السنة، و خرجوا من دراساتهم بالإعجاب بسيرته و سنته_ عليه الصلاة و السلام _ و لم يخفوا إعجابهم هذا، ذلك أنهم توخوا الإنصاف في دراساتهم. و ربما انتهى بهم المقام العلمي إلى أن يكونوا مناصرين للكتاب والسنة، بغض النظر عن ترجمة هذه المناصرة إلى إيمان بالرسالة وبالرسول صلى الله عليه و سلم".[42]

**6- يعتمد المستشرقون على مجموعة من الشبهات في دراستهم للحديث ومنها:**

- **شبهة تدوين السّنة النّبوية:** ادعى بعض المستشرقين أن الحديث لم يتم تدوينه إلا بعد قرنين من وفاة الرسول صلى الله عليه و سلم فهو حسب رأيهم سيكون معرضا للتحريف بعد كل هذه السنوات "السّنة النّبوية لم تدون إلا

بعد مائتي سنة من وفاة الرسول – صلى الله عليه و سلم – و ركز على ذلك المستشرق جولد تسيهر في كتابه دراسات إسلامية، و كذلك شبرنجر في كتابه الحديث عن العرب[43] .

- **شبهة أنّ القرآن لا يحتاج إلى السّنة** :يزعم المستشرقون أن القرآن كاملا فلا يحتاج إلى سنة لتدعمه فهذا قول باطل لأن السنة جاءت توضح وتبين وتفسر مالم يفهم ما في القرآن. لكن المستشرقون يدعوون بأن كتاب الله حوى كل شيء و كل حكم محتاج إليه و استدلوا بقوله تعالى (( ما فرطنا في الكتاب من شيء)) و قوله أيضا (( و نزّلنا عليك الكتاب تِبيانا لكل شيء و هُدًى و رَحْمة و بُشرَى للمُسلمين)) فلم الحاجة للسنة[44].

- **شبهة أنّ السّنة أحاديث موضوعة:** زعم الغرب أن السنة بها أخبار كاذبة و استدلوا بذلك على وجود الأحاديث التي تتحدث عن الأمور الغيبية التي تنبأت بأحوال قادمة و أحداث أراضي و بقاع من الأرض و فضلها كما قال (جوينبل)، و قوله أيضا بوجود أخطاء تاريخية في عدد من الأحاديث، ووجود أحاديث متناقضة مع المواضيع[45] .

- **شبهة أنّ العلماء اختلفوا في السّند:** اختلاف المحدثين في التوثيق و التضعيف، فلقد اعتبر الطاعنون اختلاف علماء الحديث في توثيق الرجال و تضعيفهم مطعنا في منهجهم، و يلزم من ذلك أن يوثقوا من لا يستحق التوثيق، و يضعفوا من لا يستحق التضعيف، و ينتج عنه تصحيح أحاديث لم تبلغ درجة الصحة، و لذلك حكموا على كثير من الأحاديث بالصحة و هي ليست كذلك[46] . لا يمكن لنا بأيّ حال من الأحوال إنكار فضلهم وجهدهم المبذول في دراسة السنة فهناك عدد من المستشرقين تعرضوا إلى السُّنّة بشيئ من الإنصاف والاعتدال في بحوثهم يتكلم علي إبراهيم النملة عليهم فيقول "على أن هناك طائفة من المستشرقين بحثوا في السيرة و السنة، و خرجوا من دراساتهم بالإعجاب بسيرته و سنته_ عليه الصلاة و السلام _ و لم يخفوا إعجابهم هذا، ذلك أنهم توخوا الإنصاف في دراساتهم. و ربما انتهى بهم المقام العلمي إلى أن يكونوا مناصرين للكتاب والسنة، بغض النظر عن ترجمة هذه المناصرة إلى إيمان بالرسالة وبالرسول صلى الله عليه و سلم[47]

**خاتمة:**

يحاول بعض المستشرقون بذل جهدهم في تحطيم أسس وأركان الإسلام والتشكيك فيه بشتى الوسائل والطرق وذلك بالاعتماد على مناهج ووسائل تخدم أهدافهم متغافلين عما قدمه الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين من جهد في حفظ الحديث وتنقيته من الشوائب والتحريف من طرف الكذابين والواضعين فظهر علم مصطلح الحديث، وعلم الرجال، وعلم الجرح والتعديل، والناسخ والمنسوخ وغيرها وكثيراً من علماء الحديث أنفقوا أعمارهم في دراسة الحديث والرحلة في طلب الحديث والتدقيق في صحته، وقد اعترف بعض المستشرقين بهذه الجهود، وكيف لا يحرص المسلمون على حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم وهو الأصل الثاني من أصول الإسلام.

لقد اشترط العلماء شروطا لقبول الحديث وضوابط صارمة في أيّ شخص يقبل منه ذلك، كالعدل والحفظ والنزاهة والتقوى وغيرها وهذا كله من أجل الحفاظ على السُّنّة. ثم يأتي اليوم شرذمة من المستشرقين ليشكّكوا في السّند ، إن هذا الشك واضح المسالك والأهداف يحاولون أن يبلغ شكّهم في أنّ السُّنّة هي مجرد أكاذيب اصطنعها بعض الرّجال لمآرب شخصية أو سياسية، ومن الواضح تماما أنّ كل هذه التهم والأكاذيب على النّبيّ المختار محمد صَلى الله عَلَيْهِ وَسَلَم ليست إلا خلاصة لعصارة من الحقد والبغض كانت في قلب هؤلاء المستشرقين الذي لا يوجد أيّ دليل على ما يدعيه، بل يوجد ما يؤكد عكس ما قاله.

**الهوامش:**

1 /صالح حمد الأشرف الاستشراق مفهومه وأثاره شبكة الألوكة 1437هـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية المملكة العربية السعودية ص13.

2/ إدوارد سعيد، (الاستشراق)، تر: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث،(بيروت- لبنان)، ط6، 2003م، ص: 39.

3/ دراسات استشراقية / العدد الخامس عشر / صيف 2018م ، ص19.

4/مصطفى السباعي، (الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم)، المكتب الإسلامي ط3 سنة 1405هـ/1980م، ص 21/20 بتصرف.

5/ نفس المصدر السابق ص: 25/24

6/نفس المصدر السابق ص 22/21 يتصرف

7/نفس المصدر السابق ص 24/23.

8 /د .شيماء فاضل عبد الحميد. د صدام جاسم محمد ، موقف الدراسات الاستشراقية من الحديث النبوي الشريف، مجلة الأستاذ ، العدد الخاص بالمؤتمر العالمي الثالث، بغداد العراق ،1436هـ-2015م، ص.147

9/ نفس المصدر ، ص.147

10/ نفس المصدر ، ص147.

11/ علي بن إبراهيم النملة ، نقد الفكر الاستشراقي ، ط 1 ، الرياض – المملكة العربية السعودية ،2010، ص .157

12/ أ.د سعدون الساموك ،الاستشراق ومناهجه في الدراسات الاسلامية ، ط1، 2010م ،دار المناهج ،عمان، الأردن، 2010م ص 57.

13/ نفس المصدر ، ص 56.

14/ علي بن إبراهيم النملة ، نقد الفكر الاستشراقي ، ط 1 ، الرياض – المملكة العربية السعودية ،2010،ص 163

15/ ساسي سالم الحاج، نقد الخطاب الاستشراقي ،ط1 ، دار المدار الإسلامي ،بيروت ،لبنان ، 2002،ج1، ص 425-426.

16/ يحي عبد الهادي محمد، بحث مكمل لنيل درجة الماجستير، شبهات المستشرقين حول إسناد الحديث، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية 1408هـ-1409هـ، ص 51

17/ د. شيماء فاضل عبد الحميد. د صدام جاسم محمد ، موقف الدراسات الاستشراقية من الحديث النبوي الشريف، مجلة الأستاذ ، العدد الخاص بالمؤتمر العالمي الثالث، بغداد العراق ،1436هـ-2015م ، ص 149

18/ نفس المصدر ، ص 149

19/ نفس المصدر ، ص 150

20/ نفس المصدر ، ص 150

21/ د. سعدي المرضعي، المستشرقون و السنة، مؤسسة الريان،بدون طبعة، بيروت- لبنان، بدون تاريخ، ص .43

22/ علي بن إبراهيم النملة ، نقد الفكر الاستشراقي ، ط 1، 2010، الرياض – المملكة العربية السعودية .ص .157

23/ أستاذ الدكتور سعدون الساموك، الوجيز في علم الاستشراق ، ط1، دار المناهج، عمان الأردن، 2003 ، ص .80

24/ نفس المصدر، ص 81.

25/.ساسي سالم الحاج، نقد الخطاب الاستشراقي ،ط1 ، دار المدار الإسلامي ،بيروت ،لبنان ، 2002،ج1، ص .400

26 / يحي عبد الهادي محمد، بحث مكمل لنيل درجة الماجستير، شبهات المستشرقين حول إسناد الحديث، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية المدينة المنورة السعودية 1408هـ-1409هـ، ص .41

27 / نفس المصدر، ص .43

28/ علي بن إبراهيم النملة ، نقد الفكر الاستشراقي ، ط 1 ، الرياض – المملكة العربية السعودية ،2010،ص.163

29/د حاكم عبسيان المطيري ، تاريخ تدوين السنة و شبهات المستشرقين، ط،1 فهرسة مكتب الكويت الوطنية، الكويت، 2002، ص.111

30/ نفس المصدر، ص.111

31/ د.فتح الدين محمد أبو الفتح البيانوني، مدخل إلى الإستشراق المعاصر و علم الحديث ، الرياض _السعودية ط1 1433هـ ، ص 107.

32 / نفس المصدر، ص.108

33 /محمد عبد الشافي القوصي، محمد صلى الله عليه و سلم مشتهى الأمم، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية و العلوم و الثقافة-إسيسكو- ، الرباط – المغرب، 1438ه/2017م، ص.57

34/ نفس المصدر، ص.57

35/ أ.د محمد حافظ الشريدة، الرد على شبهات المستغربين و المستشرقين حول السنة النبوية المطهرة، د.ط، نابلس ، فلسطين، 2011م، ص .19

36/ د. شيماء فاضل عبد الحميد. د صدام جاسم محمد ، موقف الدراسات الاستشراقية من الحديث النبوي الشريف، مجلة الأستاذ ، العدد الخاص بالمؤتمر العالمي الثالث، بغداد العراق ،1436ه-2015م ، ص 153

37/د. حاكم عبسيان المطيري ، تاريخ تدوين السنة و شبهات المستشرقين، د.ط، فهرسة مكتب الكويت الوطنية، الكويت ،2002، ص114

38/ د .حاكم عبسيان المطيري ، تاريخ تدوين السنة و شبهات المستشرقين، د.ط، فهرسة مكتب الكويت الوطنية، الكويت، 2002، ص.117

39/د .مصطفى السباعي، السنة و مكانتها في التشريع الإسلامي، د.ط، دار الورق، المكتب الإسلامي د.د، د.م ،د.ت ،ص 120

40/ د. مصطفى السباعي، السنة و مكانتها في التشريع الإسلامي، د.ط، دار الورق، المكتب الإسلامي د.د، د.م ،د.ت ، ص 122

41/ د. مازن صلاح مطبقاني، الإستشراق و الاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي، د.ط، عالم الأفكار،المحمدية-الجزائر، 2011، ص 155.

42/ د. مازن صلاح مطبقاني، الإستشراق و الاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي، د.ط، عالم الأفكار،المحمدية-الجزائر، 2011، ص 157.

43/ أ.د محمد حافظ الشريدة، الرد على شبهات المستغربين و المستشرقين حول السنة النبوية المطهرة، د.ط، نابلس ، فلسطين، 2011م، ص .10

44/ نفس المصدر، ص14.

45/ نفس المصدر، ص15.

46/ نفس المصدر، ص19.

47/ علي بن إبراهيم النملة ، نقد الفكر الاستشراقي،ط1، الرياض – المملكة العربية السعودية،ط1،2010 م،ص163.